الشعر الأندلسيّ (سماته، أساليبه، معانيه، أخيلته)

أ. حافظ الفيتــوري محمد البكوش ، ود . محمد الطاهر المهدي
قسم اللغة العربية- شعبة الأدبيات . كلية التربية-الزنتان . جامعة الزنتان

مقدّمـة

الشّعر في الأندلس امتدادٌ للشعر العربي في المشرق ، فقد كان الأندلسيون متعلقين بالمشرق ، ومتأثرين بكل جديد فيه عـن طريق الكتب التي تصل إليهم منه ، أو العلماء الذين يرحلـون من الشرق أو الأندلسيين الذين يفدون إلى الشـرق للحج أو لطلب العمل ، فكانت حبال الودّ ووشائج القربى قوية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

مشكلة البحث :

الأندلسيون ينظرون إلى الشرق وما يأتي منه نظرة إعجاب وتقدير؛ فكانوا في غالب أمرهم مقلدين للمشارقة ، ويبدو ذلك واضحاً في ألقاب الشعراء وفي معارضاتهم لشعراء المشرق، ولكن هذا التقليد لم يمنعهم من الإبداع والابتكار، والتميز بميزات تخصهم نتيجة لعوامل كثيرة ، إنها البيئة الأندلسية الجديدة الجميلة التي طبعت الأدب الأندلسي بطابع خاص.

خطة البحث : وقد قُسم البحث إلى مبحثين وخاتمة ، في المبحث الأول تناول الباحثان مميزات الشعر الأندلسـي ، واتجـاهاته وأغراضـــه ، وفي المبحث الثاني عن الموشــحات، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم قائمة بهوامش البحث ومصادره

المبحث الأول ـ مميزات الشعر الأندلسـي ، واتجـاهاته وأغراضـــه :

1- مميزات الشعر الأندلســي : يمتاز الشعر الأندلسي في ألفاظه ومعانيه وأخيلته بسمات تبدو واضحة في مجمله ، ومنها :

1 - وضوح المعنى، والبعد عن التعقيد الفلسفي أو الغوص في المعاني.

2- سهولة الألفاظ وسلاستها، والبعد عن التعقيد والغموض، وذلك ناتج عن بساطة الأندلسيين وبعدهم عن التعقيد في كل شيء. ويستثنى من ذلك شعر ابن هانئ وابن دراج، فهما يقربان من شعر المشارقة من حيث الجزالة والقوة.

3 - قلة الدخيل والألفاظ الأعجمية؛ فقد لاحظ الدارسون أن الأندلسيين أكثر تمسكاً بالعربية الفصحى من غيرهم.

4- التجديد في بعض أغراض الشعر والتفوق فيها، ويبدو ذلك واضحاً في رثاء الممالك الزائلة، وفي وصف الطبيعة.

5 - الخيال المجنح، وبراعة التصوير، والاندماج في الطبيعة ، ووصف مناظرها الخلابة ، وذلك أثر من آثار جمال الطبيعة الأندلسية ، وتعلّق الأندلسيون بطبيعة بلادهم ، وانعكس ذلك على شعرهم سواء من ناحية الألفاظ المنتقاة أو الخيال ، أو التصوير والتشخيص.

6 - التجديد في الأوزان ، وذلك باختراع الموشحات، وسوف نتحدث عن الموشحات حديثاً مفصلاً.

7 - البعد عن المحسنات اللفظية المتكلفة والمبالغة ، وبروز التشبيهات الجميلة والاستعارات الدقيقة.

والواضح أنّ الأندلسيين قد قلّدوا المشارقة ، ولكن هذا لم يمنعهم من الابتكار والتفوق في مجالات عديدة، ومما يلفت النظر لكثرة شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي ، أن الشعر لم يكن وقفًا على الشعراء المحترفين، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم، فالمجتمع الأندلسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وآدابها ، ثم طبيعة الأندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال ، كل ذلك جعل المجتمع يتنفس الشعر طبعاً ، وكأنما تحول معظم أهله إلى شعراء.

2- **اتجاهاتــه** : اتجه الشعر في الأندلس إلى ثلاثة اتجاهات :

أ - **الاتجاه المحافـظ** : الذي يهتـمّ بالموضوعات التقليدية ، ويتبع منهج القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي ، وحيث تحـوي ألفاظه جزالة وعباراته لا تخلو من خشونة ، أما بحـوره فطويلة وقوافيه غنائية ، ويحتذي هذا الاتجاه نماذج المشرق.

ب - **الاتجاه المحـدث** : وهو الاتجاه الذي حمل لـواءه بالمشرق مسلم بن الوليد وأبو العتاهية وغيرهما , من دعاة التجديد ، الذين ثاروا على الاتجاه المحافظ وطرقوا موضوعات جديدة بأسلوب متنوع ، خالفوا فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة ، وأما في الأندلس فقد عرف هذا الاتجاه على يد عباس بن ناصح ، حيث نقله من المشرق ، ولعلّ أهم ما يميز هذا الاتجاه اهتمامه بأغراض لم تكن قائمة بذاتها في القصيدة من قبل ، فظهرت القصائد بأسلوب قصصي لا يخلو من روح الدعابة والسخرية ، وأما صوره فتتألّف من عناصر حضرية في لغة يسيرة الألفاظ وإيقاع يميل إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة ، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من أشهر رواد هذا الاتجاه.

ج - **الاتجاه المحافــظ الجديد** : الذي ظهر في المشرق بسبب تطرّف الاتجاه المحدث ، ومن ثـمّ فهو محاولة لإعادة الشعر العربي إلى طبيعته وموروثه دون جمود أو بداوة ، وقد عمد هذا

الاتجاه إلى الإفادة من رقي العقل العربي بما بَلَغَتْه الثقافة العربية الإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة، وكان هذا الاتجاه محافظًا في منهج بناء القصيدة ولغتها وموسيقاها وقيمها وأخلاقها وروحها، ولكنه مجدد في المضمون وفي معاني الشعر وصوره وأسلوبه ، ويمثل أبو تمام والبحتري والمتنبي دعائم هذا الاتجاه في المشرق ، وقد عرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد نفر من الأندلسيين رحلوا للمشرق وعادوا للأندلس بأشعار البحتري وأبي تمام ، وكانت فترة الخلافة في ذروة نضجها، إذ كان المجتمع الأندلسي في هذه الفترة قد تجاوز الانبهار بالمستحدثات الحضارية التي بهرت شعراء القرن الثاني ، وأصبح أكثر استقراراً وتعقلاً، ومن أعلام هذا الاتجاه ابن عبدربه وابن هانئ والرمادي وغيرهم.

3- أغراض الشعر الأندلسي : عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، فقد عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيّرات الاجتماعية في الأندلس.

1- النسيب (الغزل): أما الغزل فكان يعبر عن الحب الصادق، فلا مجال إلا لفارس عاشق ، أو عاشق فارس يُذكر بعنترة بن شداد ، ولعلّ أهل الأندلس كانوا يتمثلون عالم الآباء والأجداد ، حيث الصّحراء والكثبان والواحات، وهم في عالم يبعد عن ذلك العالم ، وكأنهم يستلهمون العالم المثالي ، وبالرغم من ذلك كان لهذا الاتجاه سماته الخاصة في الشعر الأندلسي ، وقد جعلت تلك السمات لهذا الشعر ذاتية مستقلة وطبعت الملامح الأولى للشعر الأندلسي وميزته عن الشعر المشرقي ، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه عبد الرحمن الداخل وأبو المخشي ، والحكم بن هشام وعباس بن ناصح وغيرهم من شعراء الفترة الباكرة

ويُعد الغزل من أهم الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي ، وأوضح سماته تلك الرقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان، وكان للحياة الأندلسية دور إيجابي في طبيعة شعر الغزل ، فهو غزل حسّي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيراً أوصاف المحبوب من البيئة حوله، وبالرغم من ذلك فهناك من اتخذوا الغزل العفيف مذهباً لهم مثل ابن فرج الجياني الذي يقول:

وطالعةُ الوصال صددتُ عنها ... وما الشيطانُ فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرةً فباتت ... دياجي الليل سافرةَ القناع
فملّكت الهوى جمحات قلبي ... لأجري في العفاف على طباعي[1].

وأجمل ما في الغزل الأندلسي بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير، خاصة حين يبكي الشاعر ويحن في إيقاع غير متكلف، ويمثل ابن زيدون قمة هذا الاتجاه خاصة في قصائده إلى ولادة بنت المستكفي، ومن أجملها قوله:

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناً[1].

ومن أشهر شعراء الغزل في الأندلس ابن زيدون وابن سهل وابن شهيد، وإن كان كل الشعراء قد أدلوا بدلوهم في شعر الغزل. ولعلنا نخص ابن زيدون في هذه الدراسة من خلال نونيته المشهورة.

نونيــة ابن زيدون:

حياته : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد المعروف بابن زيدون394) هـ1003/م - أول رجب 463 هـ 4/أبريل 1071 م) شاعر أندلسي، برع في الشعر كما برع في فنون النثر، حتى صار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين، كما تميزت كتاباته النثرية بالجودة والبلاغة، وتعد رسائله من عيون الأدب العربي (3).

ابن زيدون كان وزيرا، وكاتبا، وشاعراً من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس. اتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد فحبسه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف (4) ويذكر الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه (الموجز في الشعر العربي) أحب ابن زيدون الشاعرة والأديبة ولاّدة ابنة الخليفة المستكفي، التي كانت تعقد الندوات والمجالس الأدبية والشعرية في بيتها وبادلته حبا بحب وقد أنشد في حبها الشعر الكثير شعرا فياضا عاطفة وحنانا وشوقا ولوعة وولها(5)، الأمر الذي جعلنا نتغنى في شعره إلى وقتنا هذا وسيبقى خالدا للأجيال بعدنا حبا صادقا.

فهرب ابن زيدون واتصل بالمعتضد صاحب إشبيلية فولاّه وزارته، وفوض إليه أمر مملكته فأقام مبجلاً مقرباً، إلى أن توفي بإشبيلية في أيام المعتمد على الله بن المعتضد (6).

أشهر قصائده، نونيته:

نونية ابن زيدون

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدانِينَا ... وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَيْنِ[1] صَبّحَنا ... حَيْنٌ[1] فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعينَا

أن الزمان الذي مازال يضحكنا ... الدهـرِ لا يبلى ويُبْلينَا

غِيظَ العِدا مِنْ تَساقِينا الهوَى فدعَوْا ... أنسا بقربهم قد عاد يبكينا

فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا ... بِأنْ نَغَصَّ[1] فقالَ الدّهرَ آمينَا

وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا ... وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

يا ليتَ شعرِي ولم نُعتِبْ[1] أعاديَكم ... فاليومَ نحنُ ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لكُمْ ... هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

ما حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ ... رَأياً ، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

كُنّا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه[1] ... بِنا ولا أن تَسُرّوا كاشِحاً[2] فِينَا

ن

بِنْتُم وَبِنّا ، فَما ابتَلّتْ جَوَانِحُنَا ... وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

نَكادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا ... شَوْقاً إلَيكُمْ ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا

حَالَتْ[1] لِفقدِكُمُ أيّامُنا ، فغَدَتْ ... يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا

إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا ... سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

وَإذْ هَصَرْنَا[1] فُنُونَ الوَصْلِ دانيةً ... وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما ... قِطَافُها فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا[3]

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا ... كُنْتُمْ لأرْوَاحِنَا إلاّ رَياحينَا

وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أرواحنَا بَدَلاً ... أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا !

يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به ... مِنْكُمْ وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا

مَن كانَ صِرْف الهَوى[4] وَالوُدَّ يَسقينَا

الشرح والتحليل

الفكرة العامـــة :

وفاء الشاعر في حبه لولاّدة.

يكاد الشاعر في هذه الأبيات، يذوب أسىً وألما على فراق محبوبته ولاّدة بنت المستكفي ، ويتحـرّق شوقا إليها وإلى الأوقات الصافية الماتعة التي أتيحت له معها، وفي ظلال هذه العاطفة

المتأججة الملتهبة ، أنشأ هذه القصيدة النابضة بالحياة المترجمة عما في صدره من مكنون الحب والوفاء العجيبين.

الفكرة الأولى : وصف للحاضر الأليم ، وتألم على الماضي الجميل، ويعبر عن كل ذلك من خلال أبيات تقطر وفاء وحبًا وتجلدًا.

1- أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيبِ لقيانا تجافينا

وهنا يستهل الشاعر قصيدته بالتوجع والتحسر على ما صارت إليه حاله فقد تغيرت من قرب بينه وبين محبوبته إلى بعد ونأي يتزايد مع الأيام. لقد تحول القرب بعدا وصار اللقاء جفاء وهو أمر يشقيه ويعذبه كما نجد الشاعر قد استخدم ألفاظاً جزلة في التعبير عن مدى وطول البعد وقوة الشوق حيث استخدم ألفاظاً ذات حروف ممدودة يمتد فيها النَفَسُ ليعبر عن ألمه ونجد ذلك في جميع ألفاظ البيت الأول .فهو يقول إن التباعد المؤلم بينه وبين محبوبه أضحى هو السائد بعد القرب الذي كان وحل مكان اللقاء والوصل الجفاء والهجر.

الصورة البيانية : الطباق بين(التنائي والتداني"تدانينا") وبين(لقيانا وتجافينا)

2- ألاَ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

متابعة للفكرة التي تسيطر على هذه المجموعة من الأبيات ، والتي يتحدث الشّـاعر من خلالها عن مدى الحرقة ، والألم اللذين أصاباه في مقتل، حتى أوشك على الهلاك، ولعلّ الشاعر قد وفـق في توظيف الألفاظ الدالة والمعبرة عن تجربته الحزينة ، حيتما استخدم ألفاظًا تُعضد تلك التجربة الصادقة مثل : البين، والحين ، ولعل مما ساعد على تأجيج تلك العاطفة ، توظيفه للغة توظيفا غير مباشر، وغير حقيقي ، عندما أضاف الصبح للبين، مع ما بين المفردتين من مفارقات ، فالصبح رمز التفاؤل، والأمل، تحول عند شاعرنا إلى معادل للفناء، والموت.

الصور البيانية: الجناس المستوفي بين (اسم وفعل)، صبح: صبحنا، والجناس اللاحق(يكون فيه حرفان مختلفان) بين، البَيْن: الحَين

3- مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

4- أن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا.

لا شك أن التعبير غير المباشر عن التجربة الشعرية يزيدها بريقًا، والقًا، لذا نرى الشاعر في البيت السابق يوظف الاستفهام لغير ما وضع له في الحقيقة، وذلك إظهار بغرض التوجع والتحسر

والألم الذي حل به، ومما يدل على شدة معاناته أنه راح يطلب من أي أحد أن يبلغ أولئك الذين ألبسوه هذا الثوب؛ ثوب الحزن الدائم، المتجدد وابتعدوا عنه(ويقصد هنا الواشين الذين فرقوا بينه وبين محبوبته) أن هذا الحزن ملازم له لا يفارقه حتى يهلك، وأن ضحكه قد تحول إلى بكاء دائم، و أن الزمان الجميل السابق والذي ملأ حياتنا أنسا، وحبورا، وسرورًا.. قد تحول، وتبدل.. فهو اليوم يبكينا، ويحزننا، وكأننا به وقد وصل به الضعف درجة يستعطف أولئك الشانئين أن يرقوا لحاله، وحال محبوبته وأن يتركوهما وشأنهما.

والصورة البيانيـة : هو تشبيه الشاعر سيطرة الحزن على نفسه باللباس، أو بثوب يلبسه ويكسو جسمه، لا يقدَمُ ولا يَبْلَى، بل هو يُبْلِيهِم هُمْ، ويكون سببا في فنائهم، وموتهم. أما الغرض من الاستفهام في البيت فهو إظهار الحزن والتوجع.

كما شبه الشاعر الزمان بإنسان مرح يضحك، ويسلي، وهو على سبيل الاستعارة المكنية، كما يوجد بين (يضحكنا ويبكينا) مقابلة.

5- **غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر: آمينا** ويستمر الشاعر في إرسال رسائله إلى محبوبته وإلى مستمعيه.. فيقول: بأن عذاله قد حنقوا عليه وعلى محبوبته لما بينهما من صفاء، وود، ومحبة، وأن الدهر قد استجاب لدعائهم وحقق لهم ما أرادوا من وقيعة بينهما فأصابهما الحزن والألم.

الصور البيانية: كناية عن الود، وصفاء العيش، وذكر البعض تشخيص الدهر، وتشبيهه بالإنسان على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا تشخيص في غير محله؛ لأن الدهر هو الله.

6- فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

7- وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

من الواضح أن هناك ترابطًا بين البيت السادس، وبين البيت الخامس، بحيث صار البيت السادس نتيجة طبيعية لكيد العدا، والعذال الذين ساءهم ما كان عليه الحبيبان من وفاق، وصفاء، ومودة.. فكان نتيجة ذلك كله أن تفرقنا، وتباعدنا، وانفرط عقد محبتنا، وما كان بيننا من وئام، واتفاق، حيث لم يكن يخطر ببال أحد منا أن يأتي هذا اليوم الحزين، الذي نفترق فيه فراقًا لا يرجى من ورائه لقاء، أو وصال.

الصور البيانية: الكناية عما كان من حميمية الارتباط بينهما في قوله: (مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا)، كما يوجد ترادف بين معقود: موصول. كذلك يوجد طباق بين (تفرقنا وتلاقينا).

8- يا ليتَ شعرِي ولم نُعتِبْ أعاديَكم هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

9- لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لكُمْ رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

وفي لهجة المحب المنكسر.. والعاشق الواله، الذي يكتم الحسرات غصصا في قلبه يخاطب الشاعر، بل يعاتب، مستخدمًا أسلوب النداء وحذف المنادى؛ لأنه علم ومعروف، وليس بحاجة إلى تعريف.. فهل نال العدا من الرضا، مثلما نلنا من الهجران؟!، فكيف يتم ذلك؟!! ونحن الأوفياء، ونحن المخلصون على الرغم من هذا النأي، فليس لأحد أن يملأ هذا الفراغ الحاصل في قلبي سواكم.

الصور البيانية: استخدم الشاعر أسلوب النداء، المقرون بالتمني للدلالة على مدى إخلاصه، وحبه، كما وظف الشاعر لغته توظيفا مجازيا، وغير حقيقي للتعبير عما يعتلج داخل قلبه، حين استخدم أسلوب الاستفهام بهل لإفادة النفي، كما شبه الشاعر الوفاء بالحبل (المعقود) على سبيل الاستعارة المكنية، كما شبه الوفاء بالسيف وحذف السيف وأبقى على صفة من صفاته (التقلد).

10- ما حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ بِنا، ولا أن تَسُرّوا كاشِحا فِينَا

11- كُنّا نرى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

ولايزال شاعرنا يعيش تحت تأثير العتاب العفيف، الخفيف، فأنى لشاعر مثل ابن زيدون أن يكون قاسيًا على محبوبه؟ فعلى الرغم من الصد ومن الهجران.. فلم يشعر يومًا بأنه ارتكب جرمًا يستحق كل هذا العذاب، وهذا النأي، فَيُقَرَّبُ الحسود وتقر عينه، ويسر الشانئ المبغض، ويشمت بهما!! وقد وصل به الأمر حدا صار اليأس سلواه التي يسري به عن نفسه، حتى استحكم اليأس من قلبه.

الصور البيانية: أول مظاهر البيان التي تطل علينا هو ذلك المجاز المرسل(عين ذي حسد) وعلاقته الجزئية، والتشبيه، حيث شبه الشاعر اليأس بالشيء الجميل، فحذفه وأبقى صفته وهي الإغراء.

12- بِنْتُمْ وبنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا شوقاً إليكمْ ولا جفّتْ مآقين

وهنا يفصح الشاعر عما يكنه من وفاء، وإخلاص لولادة ويبثها آلآمه ولوعته فقد ابتعدتم عنا وابتعدنا عنكم، ونتيجة هذا البعد فقد جفت ضلوعنا وما تحوى من قلب وغيره، واحترقت قلوبنا بنار البعد في الوقت الذي ظلت فيه (مآقينا: جمع مؤق وهو مجرى العين من الدمع، وجانبها من جهة الأنف) عيوننا تذرف الدمع من تواصل البكاء؛ لأنه مشتاق محروم فلا أقل من أن يخفف همه بالبكاء ويسلي نفسه بالدموع.

الصور البيانية: طباق: (ابتلت وجفت)، والكناية في قوله: فما ابتلت جوانحنا، كناية عن شوق الشاعر، وهو مجاز مرسل أيضاً، علاقته المحلية أراد به القلب. وفي قوله: ولا جفت مآقينا كناية

عن حزن الشاعر، واستمرار بكائه المتواصل، وفيه تشبيه حيث شبه المآقي بالنبع، على سبيل الاستعارة المكنية. ومثل ذلك في (ابتلت جوانحنا).

13- نَكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا يَقْضي علينا الأسى لولا تأسّينا

ويستمر الشاعر في وصف الصورة الحزينة القاتمة فيقول : يكاد الشوق إليكم يودي بحياتنا لولا التصبر والتسلي ، والأمل في اللقاء ، حينما تعود به الذكرى على الأيام الخوالي، فيتصور الجمال والفتنة والحب والبهجة والأمل والسعادة، ويهتف ضميره باسمها، ويناجيها على البعد؛ لأنها قرينة روحه، وصنو نفسه، حينما يعيش أبعاد التجربة العذبة المؤلمة، ويوازن بين ما كان عليه وما صار إليه تقرب روحه أن تفارق جسده بسبب الحزن المفرط الذي يملأ جوانحه، لولا أنه يمني نفسه بالأمل، ويعزي روحه عن المحنة بالتصبر.

الصور البيانيــة: يجسد ويشخَّص الضمائر والأسى ويجعل للضمائر لسانًا يناجي، وللأسى قدرة على القضاء، والقتل، وذلك عن طريق (الاستعارة المكنية). التي تصور الضمائر بالناس الذين يتناجون.

ومما يزيد الصورة جمالا، وبهاء، استخدامه للنجوي فيما يتعلق بالضمائر، (تناجيكم ضمائرنا) وما بينهما من همس، ورحمة، ومودة.

14- حالتْ لفقدِكمُ أيامُنا فغدتْ سوداً وكانت بكم بيضاً لياليا

وإمعانا في تجسيد معاناة الشاعر يقول: لقد تبدلت الحياة الوادعة الهانئة الجميلة، وأظلمت الدنيا المشرقة الباسمة المضيئة، فجللها السواد وعمها الظلام ببعد ولادة.

الصور البيانية المقابلة من خلال الكلمات (أيامنا فغدت سوادا - وكانت بكم بيضا لياليا)، والطباق بين سودا: بيضًا.

15- إذْ جانبُ العيشِ طلْقٌ من تألّفنا ومربعُ اللّهوِ صافٍ منْ تصافينا.

ويبدو الترابط بين الأبيات واضحًا، وما ذاك إلا؛ لأن بعضها قد ترتب على بعض، وصار بعضها يكمل بعضها الآخر ويترتب عليه في المعنى، ففي هذا البيت يتذكر أيامه الهانئة مع محبوبته حيث كانت الحياة صافية متفتحة، وحيث كانا يجنيان ثمار الحب ما يشاءان، ومتى يشاءان، فهو يقول إن عيشنا الماضي كان طلقًا (مشرقًا) من شدة الألفة بيننا، وقوة الترابط، حيث اللهو، والسمر فيما بينهما، لا يعكر هذه الأجواء الوادعة حزن، ولا هم، ولا شقاق، ولا خلاف، ولهذا فهو صاف مثل المورد العذب الجميل، من شدة التصافي، وخلو المودة مما يكدرها.

الصور البيانية: (العيش طلق) كناية عن الهناء ورغد العيش، كما شبه اللهو بالمورد العذب من باب الاستعارة المكنية، الجناس بين: (صاف - وتصافينا).

16- وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانية قِطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا

واستكمالا للوحة الذكريات الجميلة الفاتنة، يستحضر الشاعر تلك المشاهد الرائعة التي عاشها مع ولادة: فقد كنا نستميل أصناف الوداد، والحب، والوصال المتنوعة، فنقطف منها ما نشاء.

الصور البيانية: ولعل هذا البيت قد اشتمل على صورة من أجمل صور الوداد حين شبه لنا الشاعر أصناف الوصل، والحب، والوداد بالأعناب الدانية القطاف، أو الثمار الدانية القطاف والتي في متناول اليد، والتي يتناول منها المرء ما يشاء، ومتى شاء، ولا أخالها إلا صورة جميلة مستوحاة من جمال الطبيعة الأندلسية الفاتنة

17- ليُسقَ عهدُكم عهدُ السرورِ فما كنتمْ لأرواحِنا إلاّ ريحانا

ويحلق الشاعر في عالم من الخيال، ويطوف به طائف من الذكرى الحلوة، فيدعو لعهد الوفاء بينهما بالحياة، والتجدد، والنماء...؛ لأنه عاش فيه وصفت روحه به، وتلقى من محبوبته مشاعل الأمل وحب الحياة.. وهو دعاء يكشف عن الحنين إلى العهد الماضي، وعن جمال الذكرى، وإذا كان الفراق يغير المحبين، ويجعلهم ينسون حبات قلوبهم فلن يستطيع أن ينسى الشاعر هواه، بل يزيده البعد وفاء وإخلاصا، فما زالت أمانيه متعلقة بولادة وهواه مقصورا عليها فقد كانت الرياحين لروحه وما زالت كذلك.

الصور البيانية: ومن جماليات البيت السابق، خروج الخبر عن مقتضى ظاهره وهو جملة فعلية (يسقى عهدكم) إلى الإنشاء، أو الدعاء، حيث استخدام الفعل المضارع الذي تحول مع لام الأمر (ليسق) وقصد به الدعاء، والغرض منه الحنين، وشبه محبوبته ولادة بالرياحين وهذا من باب التشبيه البليغ الذي حذف طرفاه، ويوجد بين أرواحنا ورياحينا: جناس ناقص، كما يوجد استعارة مكنية في قوله: (ليسق عهدكم): حيث صور العهد، والزمان بالبستان الذي يسقى.

18- لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا!

وفي محاولة من الشاعر لاسترضاء محبوبته، واستدرار عطفها، يرسم لنفسه صورة مثالية، ووضيئة، فهو من طينة ليست كطينة باقي المحبين، الذين يغيرهم البعد، فعلى الرغم مما حصل بينهما إلا أنه لا يزال محافظاً على حبال الود، والوصل.

الصور البيانية: وعلى الرغم من عدم وجود المحسنات، أو الصور البيانية التي تعتمد التشبيه أساسًا لها، إلا أن الشاعر استطاع ومن خلال توظيفه اللغوي، أو عملية النظم، والتأليف، استطاع أن يرسم لنفسه تلك الصورة المثالية، والمغايرة لباقي العشاق، والمحبين.

19- واللهِ ما طلبت أرواحُنا بدلاً منكمْ ولا انصرفتْ عنكمْ أمانينا

وزيادة في حب الوصال، راح الشاعر يرسل رسائل الطمأنينة لمحبوبته، فهو يقسم لها بالله بأن قلبه لن يتعلق بغيرها ولم تتحول أمانيه عن حبها، ولقد كان اختيار الشاعر لكلمة (أرواحنا) موفقا إلى حد كبير، حيث ذكرت إحدى الروايات كلمة (أهواؤنا) بدل (أرواحنا)، على ما بينهما من فوارق بين الأرواح، والأهواء.

الصور البيانية: الاستعارة المكنية في قوله: (انصرفت عنكم أمانينا): حيث صور الأماني بإنسان ينصرف فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه.

20- يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

21- وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

ولا شك أن الشاعر هنا يريد أن يشرك عناصر البيئة، أو الطبيعة في الوساطة بينه وبين ولادة من جهة، ومن جهة أخرى حيث راح يستعين بها لتحمل معه ثقيل أعبائه، فلعلها تقف بجانبه، وتخفف عنه من آلامه في وحدته، وغربته التي يعاني منها، والوقوف بجانبه، وفي مظهر حقيقي من مظاهر الود، والوفاء، والإخلاص راح الشاعر يستسقي المطر في ترفق ورجاء، ويطلب منه أن يبكر في إرواء قصر محبوبته بماء المطر العذب الصافي؛ لأنها كثيرا ما سقته الهوى خالصا نقيا من الخداع والزيف، ولا يكتفي الشاعر بالمطر.. بل راح يقصد نسيم الصبا لينقل تحياته إلى محبوبته التي لو ردت عليه التحية فإنها ستمنحه الحياة، وتبعث فيه الأمل.

الصور البيانية: لقد أجاد الشاعر في مناجاته وتشخيصه للطبيعة، حيث راح يأنس إليها، ويبثها شكواه، ورقيق مشاعره: (يا ساري البرق) (يا نسيم الصبا)، والكناية عن ولادة في قوله (من كان صرف الهوى والود يسقينا)، والاستعارة المكنية في بلغ (بلغ تحيتنا)، والتي جسد من خلالها الشاعر المعنوي، وأسلوب النداء (يا سارِيَ البَرْقِ) والغرض منه إظهار الشوق والحنين/ والغرض من النداء في البيت الثاني (وَيَا نسيمَ الصَّبَا) للرجاء والتمني.

22- وَاسألْ هُنالِكَ:هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا إلفاً ، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا

واستكمالاً لمشهد الشوق والحنين، يحمل الشاعر مظاهر الطبيعة (نسيم الصبا) أمانة السؤال، والتقصي داخل القصر، إن كان بعده عنهم قد ترك أي أثر على محبوبته أم لا؟! ثم يبادر معبرًا عن مكنون صدره، وعن مرهف مشاعره، ورقيق إحساسه..الذي راح تذكره لها يسبب له الأرق، والمعاناة، والألم. ولعل اتكاء الشاعر على الاستعانة بمظاهر الطبيعة يوحي بانعدام، أو عدم جدوى الوساطات بينه وبينها، مما اضطره للجوء لوساطات أخرى، يفرغ من خلالها شحنات عواطفه الجياشة، لعلها تهدئ من روعه، وتسكن من لظى حبه.

الصور البيانية: مازال الشاعر يتكئ وبكثرة على عنصر التشخيص حينما كلف نسيم الصبا باختلاس بعض الأخبار من القصر، ولعل هذا يؤكد ما ذهبنا إليه من استخدامه، وتوظيفه لعناصر، ومكونات البيئة، والطبيعة كمعادل موضوعي، تعويضي عن عدم جدوى أية وساطات بينه وبين ولادة، ولعل توظيفه للفعل (أمسى) له إسقاطات، وأبعاد نفسية واضحة، بكل ما يعنيه المساء من سكون يشير إلى سكون وهدوء، وركود في العلاقات، وبما يعنيه المساء –أيضًا- من حزن، وألم، يخالطان نفس الشجي المكلوم.

نظرات نقديــة

أولاً- اللغة : الشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يتجاوز من خلال ألفاظه، وتراكيبه الإيحائية، وغير المباشرة.. قصور اللغة، وجمودها في تراكيبها العادية، والمعجمية، وذلك من خلال استغلال الطاقات الكامنة فيها، وأن يشحن لغته بالصور، والموسيقى، حيث إن دور اللغة لا يقتصر على كونها وسيلة من وسائل التعبير فقط، بل إنها تحتوي على خاصية جمالية فريدة، وقدرة فائقة في إثارة أحاسيس، ومشاعر القراء، ونقلهم إلى أجواء وعوالم نفسية جديدة.. وذلك فيما يعرف بالموسيقى الناتجة عن تآلف، وتآزر الألفاظ، والتراكيب ومن خلال قدرة الشاعر وتمكنه من تقنيات التقديم، والتأخير، والذكر، والحذف، وتوظيف الأساليب المختلفة من استفهام، وتعجب، وتمنٍ، وأمر...وغير ذلك من الأساليب التي يخرجها الشاعر عن حالتها الحقيقية المباشرة، إلى معان أخرى مجازية تزيد اللغة تألقًا، وإشعاعًا، وإيحائية، وقد وقفنا على جانب كبير من خلال تلك الصور البيانية، والأساليب المختلفة التي سلَّطنا عليها بعض الضوء في هذه الدراسة.

ثانيًا- الألفاظ: تعتبر الألفاظ المقوم الأساس الذي يقوم عليه الشعر قديمًا وحديثًا، فإن كانت المعاني هي روح الشعر، وموضوعه، فإن الألفاظ بمثابة الجسد للروح، وكما يقول الجاحظ: (فإن المعاني مطروحة في الطريق)(9)، فالموضوع لم يكن في يوم من الأيام هو الشعرية، إنما كيف تنتج الموضوع؟ وكيف تقول ما تقول؟ (أي بالألفاظ) فهذا هو الشعر؛ لذا فإن أهم عنصر في العمل هو القدرة على التشكيل.. أي صب المادة الخام (المعاني) في قالب (الشكل، أو اللفظ)، وذلك ما يعنيه الجاحظ بقوله: "إن المعاني مطروحة في الطريق"، ولكن المهم الصياغة الفنية، من خلال التشكيل اللفظي لتلك المعاني.

بالنظر إلى ألفاظ الشاعر في هذه القصيدة، نرى أنها تتسم بالرقة، والعذوبة، والوضوح، ولعل الموضوع الذي عالجه الشاعر (الغزل) يقتضي مثل هذه الألفاظ الشاعرية، التي يذوب الشاعر من خلالها في محبوبه، الشيء، الذي لا يعطي له مساحة كبيرة من الخيارات اللغوية، أو ليس عنده الوقت الكافي الذي يسمح له بانتقاء ألفاظه، بحيث تبدو غليظة، جافة، أو تحتاج لمعرفتها

إلى اللجوء إلى المعاجم، والقواميس، ولهذا وجدنا الألفاظ قد فُصِّلت على قد المعاني دون كد للعقل، أو إجهاد للفكر.

ومن هذه الألفاظ: التنائي، والتداني، لقيانا، تجافينا وهي ألفاظ تتطابق وتتناسب مع موضوع الغزل الذي لا يخلو من نأي أحيانا، وتقارب أحيانا أخرى، لقاءات السحر والجمال تارة، ثم قد يتبعها الجفاء..وهكذا هي حال المحبين، والعشاق.

ومن الألفاظ التي يكثر تداولها بين العشاق، والمحبين: (الحساد، الكاشحون)، إذ لا يمكن أن تمر حياتهم هكذا هادئة وادعة دون أن يمسها شيء من الحسد، والوشاية.

كما استخدم الشاعر ألفاظا تتناسب مع الجو العام للنص: (الوفاء، الصبر، التأسي، الهوى، نعيما، جنة الخلد، يروينا، العهد، أبكي...)

وهكذا..يستطيع القارئ أن يضع يده على الكثير من الألفاظ التي وفق الشاعر في التقاطها للتعبير عن تجربته الشعرية الخاصة.

ثالثًا- العاطفـــة: هذا ولا يمكن لدارس الأدب أن يغفل هذا العنصر أثناء تحليله لأي نص أدبي؛ شعرًا كان أم نثرًا؛ لما لهذا العنصر من سحر يلامس شغاف قلب القارئ، ويمسه مسًّاً شفيفًا، لطيفًا، يستطيع من خلاله أن يكتشف مدى تأثر الشاعر بحقيقة تجربته قوة، وضعفًا، وبالتالي.. فإن الأعمال العظيمة التي ندين لها بالفضل، هي التي تقول ما كنت تود قوله، وهي التي تجعلنا نرى أشياء لم نرها من قبل أبدًا، أو رأيناها بعين مضطربة عاشية، ولن يتم ذلك إلا من خلال العاطفة الصادقة، والتي هي عبارة عن تضافر، وتفاعل مجموعة من مقومات النص التي لا يمكن لنا أن نفصل بعضها عن بعضها الآخر، ومنها: اللغة بألفاظها، وتراكيبها، وأساليبها، وصورها، وما ينتج عن ذلك كله من صور وخيال، والتي يستطيع الشاعر من خلالها أن يشرك القارئ في تجربته الخاصة، وأن يتفاعل معها وكأنه يعيش التجربة ذاتها، فإن استطاع الشاعر أن يصل بالقارئ إلى هذا المستوى من التأثير، والتأثر فقد نجح في تقديم نفسه وتقديم تجربته للآخرين؛ لأنه في هذه الحال يقدم تجربة إنسانية عامة، ولكن انطلاقًا من تجربته الخاصة.

ولعلنا نأخذ بعض النماذج نسترشد من خلالها على مدى صدق عاطفته في تجربته التي يقدمها لنا:

يقول الشاعر بعد أن فقد الأمل في الوصال، وقد استنفد كل الحيل، وكل الوساطات..

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكم في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا فلقد وصل الشاعر إلى مرحلة كبيرة من اليأس، حتى لنكاد نرى دموعه تسكب على وجنتيه من شدة الحزن، والألم، ولم يكن للشاعر أن يجعلنا نشاركه همه، وحزنه إلا من خلال هذه الصورة الإنسانية العظيمة، أو اللوحة

الملونة التي ضمت مجموعة من الألوان القاتمة الحزينة..والتي لم يكن لها أن ترى النور إلا بتآزر اللفظ بدلالاته، وظلاله، ومن ثم التراكيب، والأساليب التي أنتجت صورة، وموسيقى شجية كان لها كبير الأثر في جعل القارئ يتعاطف معه على الرغم من بعد الزمان، والمكان.

ولنا أن نأخذ نموذجًا آخر، لنرى مدى توفيق الشاعر في التعبير عن تجربته من خلاله:

يقول الشاعر في تصوير محبوبته ولادة:

رَبيبُ مُلكٍ ، كَأنّ اللَّهَ أنْشَأهُ مِسكاً ، وَقَدّرَ إنشاءَ الوَرَى طِينَا

أوْ صَاغَهُ وَرِقاً مَحْضاً وَتَوجهُ مِنْ نَاصِعِ التّبرِ إبْداعاً وتَحسِينَا

فقد استهل الشاعر مدحه، وثناءه على محبوبته فكنَّها عن رفاهيتها، ورغد عيشها..بأنها ربيبة الملك، وهذا شيء جميل حتى اللحظة، أما أن يبالغ الشاعر في ذلك فيخرج بها عن طبيعة البشر جميعًا، فهذه مبالغة في غير محلها، بل لعلها تثير في النفس النفور، والاشمئزاز، فعلى الرغم من طيب رائحة المسك إلا أنه ليس مادة للخلق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن لون المسك هو اللون الأسود، ولننظر إلى حال محبوبته حينما تتفرد بهذا المسك بين البشر الطينيين، فلا شك أنها ستكون منبوذة، ولن تلقى القبول، فكان من الأفضل لو عدل الشاعر عن هذه المبالغة، وفي سياق الاعتراض على إرسال الأنبياء من جنس البشر، يقول الحق تبارك وتعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ }الأنعام9، فجمال الشيء يكمن في مطابقته للحقيقة وللواقع، مع بعض الخروج عن المألوف لضرورة بلاغية معينة.

أما البيت الثاني، فإن الشاعر يرى أن محبوبته من شدة جمالها وكأنها قد خلقت من الفضة المحضة، ثم توجها بتاج من الذهب الخالص!! وفي الحقيقة أنها مبالغة ممقوتة، وتشبيه في غير موضعه، وكأني بها تمثال جامد ليس فيه روح، ولا تدب فيه الحياة.

فهذه نماذج تمثيلية، يستطيع الطالب أن يبني أراءه النقدية، وأحكامه على ضوئها، وأن يسير بهداها، ولكن قبل هذا يجب على الطالب أن يثق في قدراته، وفي ذكائه، كي يستطيع مواجهة عالم النص بكل شجاعة، واقتدار.

رابعاً- الأساليب : لاشك أن البيان، والتعبير يأخذ أشكالا كثيرة، ومتعددة، فقد يمكن أن يعبر الإنسان من خلال الإشارة، أو الإيماءة، أو الحركة، أو الكلمة، أو الصورة، أو التمثال (النحت) وغير ذلك من صور التعبير، فقد يظهر الرسام عواطفه من خلال اللوحة, وقد يظهر النحات عواطفه من خلال نحته، أما الأديب، الفنان فهو رسام يرسم بالكلمات، والكلمة هي المداد الذي يجسد من خلاله مشاعره، وأحاسيسه، و وجداناته، وعواطفه، واللغة هي مجموع المفردات، والتراكيب .. وينبغي أن تكون لغة الأدب مأنوسة أليفة, على علوها وشرفها بأن تكون لغته وسطاً

بين لغة المتقعرين من الخاصة، ولغة العامة الركيكة. يقول أبو هلال العسكري " وأما المختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها"، "فخَيْر الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك"(10) ولا يكون الكلام كذلك حتى يكون الأديب على قدر كبير من التمكن من أساليب العرب، من خبر، وإنشاء، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل..فإن تشر الأديب جميع هذه الفنون خرج كلامه مطبوعًا، بلا تكلف، وبلا عناء، ينساب من قلمه انسياب الماء من في السقاء، فمن فرط ثقته بنفسه، وامتلاكه لنواصي الكلام الجيد، لم يعد بحاجة للتعقيد، أو الإبهام، والتعمية، والأسلوب مفتاح شخصية الكاتب، ويدل مدى انسجامه مع ذاته، ومع بيئته، يقول الناقد الفرنسي (بوفون): الأسلوب الرجل، فالكاتب الموهوب هو الذى يملك الأسلوب المختلف، المتميز، هو الذى يمكنك أن تتعرف عليه من خلال مقالته أو قصته أو قصيدته، هو الذي يشعرك كلما قرأت له أن هناك كيانًا مستقلا يحاورك، فهو ذو طابع خاص، ونكهة، وبصمة مميزة(11).

ولعل أول ما يطالعنا من قصيدة ابن زيدون هو ذلك النفس الحزين، والانكسار الواضح الذي جلل حياته، حتى كاد يكون الحزن هو البصمة العامة التي غطت مساحة النص كاملاً، وقد استخدم الشاعر بعد ذلك عددًا كبيرًا من الأدوات المعبرة، والتي جسدت تلك الفكرة، نذكر من ذلك على سبيل المثال: كثرة المقابلات، والطباقات الموجودة في النص، وقد أشرنا إليها في مواضع مختلفة أثناء الشرح، ونحن هنا نحاول عدم تكرار ما سبق أن قلناه، ولكننا نريد نؤكد على الفكرة الرئيسة للفقرة موضوع الدرس ألا وهي الأسلوب (البصمة)، ولعل كثرة تلك المقابلات، والطباقات قد أخذت بعدًا نفسيًّا لدى الشاعر، وخصوصًا أن النص يعالج فترة من فترات البعد، والانقطاع بين محبوبين لطالما تجاذبا حبال الود، والوصال..فكان من الطبيعي في مثل هذه الأجواء أن يكثر الشاعر من المقارنات بين عهدين من خلال الإكثار من المقابلات، والطباقات.

كما لاحظنا على الشاعر توظيفه لأسلوب النداء بشكل واضح أيضًا، وكان فيه المنادى واحدًا من مظاهر الطبيعة، مثل: يا نسيم الصبا، يا روضة..، يا جنة الخلد..، يا حياة تملينا..، يا نعيمًا..، يا ساري البرق، ولعل الشاعر قد استنفد كل الوسائل المتاحة، والوساطات من أجل إرجاع الأمور إلى نصابها، ولكن دون جدوى، فراح يناجي تلك الطبيعة كمعادل موضوعي للتوسط بينه وبين ولادة.

كما زاوج الشاعر بين الأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية، والتي تخرج عن مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية أخرى، ومن ذلك: أضحى التنائي بديلا... أسلوب خبري لم يقصد الشاعر من ورائه مجرد الإخبار عن مضمون الخبر، بقدر ما أراد إظهار التحسر على ما مضى، ومن الخبر الذي يفيد

إظهار الحزن الشديد: إنا قرأنا الأسى سورًا..، أخذنا الصبر تلقينا. ومنه الخبر للاستعطاف: أبكي وفاء وإن لم تبذلي صلة. ومن الخبر الذي يفيد المدح: ربيب ملك كأن الله انشأه مسكًا..، ومن أجل الحث على الوفاء للماضي الجميل: فالحر من دان إنصافا كما دينا.

ومن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي، ومنه قول الشاعر: هل نال حظا من العتبى أعادينا: استفهام خرج عن معناه الحقيقي ليدل على النفي، ومنه- أيضاً- الأمر الذي أفاد الدعاء في قوله: ليسق عهدكم عهد السرور..، ومن الإنشاء كذلك، الأمر الذي يفيد إظهار الشوق: ..بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا ...، ومنه -أيضا- الأمر الذي يفيد الاستعطاف: دومي على العهد ما دمنا محافظة. والأمر الذي يفيد التمني: واسأل هنالك هل عنى..، والتمني الذي يفيد التحسر قول الشاعر: يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم، والنداء الذي يفيد الاستعطاف قوله: يا جنة الخلد.. .

ومن الأساليب التي وظفها الشاعر في سبيل التعبير عن تجربته الشعرية، القسم وهو قليل الاستخدام، في مثل قوله: والله ما طلبت أرواحنا بدلا، ولا يخفى أن الغرض من القسم هنا هو إظهار الوفاء، ولعل الإقلال من القسم يوحي بعزة نفس الشاعر؛ لأن اللجوء إلى القسم يكون في آخر المطاف دائمًا، والذي يبدو من النص أن الشاعر لم يقطع حبل الوصال، ومازال يأمل أن تعود إليه محبوبته ولادة.

خامسًا- الصور البيانيـة : أما عن الصور البيانية فهي كثيرة ومبثوثة في أرجاء النص ما بين استعارات، وكنايات، وتشبيهات، ومجازات..وقد نوع الشاعر في ذلك كله تنويعًا كبيرًا، مستخدمًا أجمل ما في البيئة الأندلسية من عناصر، وقد ذكرنا بعضها أثناء تعليقنا المباشر على الأبيات، ويستطيع الطالب أن يستكشف هنا عالم الجمال، والبهاء بمفرده، وببساطة.

سادسًا- الوحدة الموضوعيـة : لم يكن بدعا على نونية ابن زيدون أنها تقتفي أثر الشعر العربي الأصيل، ويكفي أن نشير هنا إلى كثرة ما هاجر من كتب إلى الأندلس، فيها من الدواوين عدد جم وبخاصة دواوين الجاهليين والأمويين والمجموعات الشعرية المهمة كالمفضليات وشعر الهذليين والنقائض..، ولهذا نجد ابن زيدون لم يكن له أن يخرج عما سار عليه الأولون من الشعراء، والذين كان شعرهم عبارة عن بستان جميل فيه أصناف من الأزاهير المتنوعة، والمختلفة، ولا ضير في ذلك أن يتميز الشعر الغنائي العربي بهذه الميزة؛ لأنها طبيعة هذا النوع من الشعر الذي لم يكن له ليتميز بهذه الخصيصة لولا أنه غنائي؛ لأنه بوح الوجدان، والمشاعر والأحاسيس، ولهذا نجد الشاعر يتنقل من فكرة إلى فكرة حسب الدفق العاطفي الذي يسيطر عليه لحظة انفعاله، ويأتي تبعًا لذلك ألا يشمل القصيدة الغنائية وحدة عضوية متكاملة، بالمفهوم المتعارف عليه في النقد الغربي، ولكننا في الوقت نفسه نستطيع أن نلمس وحدة نفسية شفيفة تغطي النص الغنائي

كله، ويجدر القول هنا إن هذا النوع من الوحدة (العضوية) يجب توفرها في الشعر المسرحي، والقصصي؛ لأن طبيعته تقتضي التسلسل، والترتيب.

المبحث الثاني ـ الموشــحات:

نشأة الموشحات: امتاز الأندلسيون على المشارقة باختراع الموشحات، وإن كانت قد انتشرت بعد ذلك في المشرق أيضاً.

والموشح مأخوذ من الوشاح، وهو: عقد من لؤلؤ وجوهر منظومين، مخالَفٌ بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، وثوب موشح: أي مطرز مزين، والموشح هو أول ثورة حققها الشعر العربي في إيثار الإيقاع الخفيف الذي يقرب الشقة بين الشعر والنثر(12).

والموشّـح في الاصطلاح الأدبي له تعريفات كثيرة، لعل أدقها ما ذكره ابن سناء الملك في كتابه (دار الطراز)، حيث يقول: "الموشّـح : كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة..(13).

وقد ظهر فن التواشيح في الأندلس أوائل القرن الثالث الهجري على يد مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله المرواني، ثم تبعه أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، ثم تطورت على يد يوسف بن هارون الرمادي الشاعر القرطبي ، واكتملت صورتها على يد عُبادة بن ماءِ السماء؛ إمام الوشاحين الذي استطاع أن ينشر الموشحات في الأندلس، ثم جاء بعده مجموعة من الوشاحين الأندلسيين، من أشهرهم: يحيى بن بقي، والأعمى التطيلى، وأبو بكر بن زهر، وأبو بكر بن باجة، وابن سهل، ولسان الدين بن الخطيب(14).

وجاء اختراع الموشحات الأندلسية نتيجة لحياة الترف والطرب واللهو؛ لأن الموشح يلائم ذلك، وهو تجديد في شكل الشعر العربي لا في مضمونه، وقد أدى اهتمام الأندلسيين بالموشح وكثرة الوشاحين إلى إغراقهم في ذلك الفن، وإلى كثرة أنماط الموشح حتى تحول إلى صناعة لفظية، كما أن العامية دخلت الموشح، حتى أن ابن سناء الملك يرى أن الخرجة يجب أن تكون عامية، فإن كانت معربة الألفاظ خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إلا إذا كان موشح مدح(15). وقد تناول الوشاحون في موشحاتهم أغراض الشعر العربي المشهورة، من مدح ووصف وغزل وهجاء ورثاء وزهد... ولكن أشهر الموشحات في الغزل واللهو ووصف الطبيعة.

ويعد الموشح فنًا من فنون الشعر الرائعة التي توسع فيها شعراء الأندلس، إطلاقا لبنات أفكارهم في سماء الخيال، فأجادوا ما شاءت بلاغتهم وعنايتهم في إظهار المنظومات في قالب جديد مطبوعة على غرار جميل مطرزة بوشي لطيف، فتناولها الشعراء بمنتهى الإقبال والتكريم وتباروا في الإجادة في فنونها هائمين في سهولها وضروبها، راشفين من صافي معينها، واصفين مظاهر الطبيعة والعالم على اختلاف شؤونها. فالأندلس أم الموشحات، ولا صحة لما قيل من أن ابن

المعتز العباسي هو مخترع الموشح، وإنما ذلك محاولة لسلب الأندلسيين هذا الاختراع الذي أكد المؤرخون سبقهم إليه، حتى قال ابن سناء الملك. "وبعد، فإن الموشحات مما ترك الأول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وصار المغرب بها مُشرِقاً لشروقها في أفقه، وإشراقها في جوه ". وقال الزبيدي في معجم تاج العروس: "التوشيح اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون(16).

كما قال ابن خلدون في الموشح: " وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح(17). ووصفه ابن دحية الأندلسي بقوله: "الموشحات هي زبدة الشعر ونسبته، وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها ظهور الشمس الطالعة والضياء المشرق(18) وقال ابن معصوم في سلافة-أيضاً- العصر: "ولأهل اليمن –أيضاً- نظم يسمونه الموشح غير موشح أهل المغرب؛ والفرق بينهما أن موشح أهل المغرب يراعى فيه الإعراب، وإن وقع اللحن في بعض الموشحات التي هي على طريقتهم لكون ناظمه جاهلا بالعربية فلا عبرة به، بخلاف موشح أهل اليمن فإنه لا يراعي فيه شيء من الإعراب، بل اللحن فيه أعذب، وحكمه في ذلك حكم الزجل(19).

تأثير الموشـح على الشـعر الأوروبي : لقد كان للموشّـح أثر عظيم في الشعر الأوربي ، فحاكى شعراؤهم هـذه الأوزان والأشكال كما نـرى في منظوماتهم ، ولاسيما قصائد (فكتور هوجو) شاعر فرنسا في ديوانه المسمّى بالشرقيات ، وكذلك قصائد (غوتـه) الشاعر الألماني وغيرهما من شعراء بقية الأمم الأوربية التي وقفت على أشعار عرب الأندلس وموشحاتهم الخالدة ، فكانت القافية عندهم لا تلتزم في أكثر من بيتين كالأراجيز عندنا ، أو أنها تلتزم في أبيات وتتغير وتعود إلى اللازمة كما في الموشحات؛ ومنها نوع من الشعر يسمونه الأبيض وهو ما كان غير مقفى كشعر شكسبير شاعر الإنكليز وغيره(20).

أجـزاء الموشّـح ومصطلحاته :

يتكـوّن المّح من أجـزاء معينة، اصطلح عليها الوشاحون ، والتزموها في صنع الموشحات، وهذه الأجزاء هـي :

1- **مطلـع** : يتكوّن من شطرين، أو أربعة أشطر، يسمى كل منها بالغصن.

2- **الـدور**: يتكون من ثلاثة أشطار شعرية على الأقل وكل شطر من مقطع واحد على الأقل، وهذا يسمى بالموشح التام. فإن اشتمل الموشح على الدور مباشرة، ولم يكن له مطلع فيقال له

الموشح الناقص (الأقرع). ويشترط في الدور أن يكون على وزن وقافية مخالفين للمطلع ، أو القفل، أما الأدوار فيجب أن تتحد فيما بينها في الوزن وعدد الأجزاء.

3- **القفل** ، وهو يماثل المطلع في عدد الأغصان ، ونظام القافية.

مثال ذلك ما قاله ابن اللبانة(21).

أولا- المطلع:

1 - شاهدي في الحب من حرقى (غصن) 2 - أدمع كالجمر تنذرفُ (غصن)

ثانيا- الدور:

1 - تعجز الأوصاف عن قمر (سمط)

2 - خده يدمي من النظر (سمط)

3 - بشر يسمو على البشر (سمط)

ثالثا- القفل:

1 - قد براه الله من علق. (غصن) 2 - ما عسى في حسنه أصفُ (غصن)

رابعًا- البيت : ومفهوم البيت في الموشحة غير مفهومه في القصيدة التقليدية ، فالبيت في الموشح يتكون من الدور ومن القفل الذي يليه مجتمعين.

خامسًا- الخرجة : آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء، وهى إما أن تكون عربية فصيحة أو عامية أو أعجمية.

جادك الغيث

نص الموشحة

جادك الغيث إذا الغيـث هما ... يا زمان الوصـل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما ... في الكرأو خلسـة المختلس

إذ يقود الدهر أشتات المنى ... نـنقل الخطو على ما ترسم

زمرا بين فُرادى وثنا ... مثلما يدعـوالحجيجَ الموسـمُ

والحيا قد جلل الروض سنا ... فثغور الزهـر فيه تبسـم

وروى النعمان عن ماء السماء ... كيف يروي مالكٌ عـن أنـس

فكساه الحسـن ثوباً مُعلما ... يزدهي منه بأبهى ملبس

في ليال كتمت سر الهوى ... بالدجى لولا شموس الغُرر

مال نجم الكأس فيها وهوى ... مستقيم السير سعد الأثر

وطرٌ ما فيه من عيب سوى ... أنه مرَّ كلمح البصر

حين لذّ النوم شيئاً أو كما ... هجم الصبح هجوم الحرس

غارت الشهب بنا أو ربما ... أثرت فينا عيون النرجس

أيُّ شيء لامرئ قد خلصا ... فيكون الروض قد مكن فيه

تنهب الأزهار فيه الفُرصا ... أمِنت من مكر ما تتقيه

فاذا الماء تناجى والحصـا ... وخلا كلٌ خليل بأخيـه

تُبصر الورد غيوراً بَرما ... يكتسي من غيظه ما يكتسى

وترى الآس لبِيبا فهما ... يسرق السمع بأذني فرس

يا أهَيلَ الحي من وادي الغضا ... وبقلبي مسكنٌ أنتم به

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا ... لا أبالي شرقه من غربـه

فأعيدوا عهد أنس قـد مضى ... تعتقوا عبدكم من كربـه

واتقوا الله ، وأحيوا مغرما ... يتلاشى نفساً في نفـس

حبس القلب عليكم كرما ... أفترضون عفاء الحُبـُس

سان الديـن بن الخطيب:

أولا- حياة الشاعـــر: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب شاعر وكاتب ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي من الأندلس. نُقِشت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة - درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس .قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة بعد وقعة الربض أيام الحكم الأول، ثم رجعت إلى مدينة لوشة واستقرت بها، وبعد ولادة

لسان الدين في رجب سنة 713 هـ انتقلت العائلة إلى غرناطة، حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف، وفي غرناطة درس لسان الدين الطب والفلسفة والشريعة والأدب، ولما قتل والده سنة 741 هـ في معركة طريف، كان مترجماً في الثامنة والعشرين، فحل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجيّاب، ثم توفي هذا الأخير بالطاعون الجارف، فتولى لسان الدين منصب الوزارة، ولما قتل أبو الحجاج يوسف سنة 755 هـ وانتقل الملك إلى ولده؛ الغني بالله محمد استمر الحاجب رضوان في رئاسة الوزارة، وبقي ابن الخطيب وزيراًثم وقعت الفتنة في رمضان من سنة 760 هـ، فقتل الحاجب رضوان وأقصي الغني بالله، الذي انتقل إلى المغرب، وتبعه ابن الخطيب وبعد عامين استعاد الغني بالله الملك وأعاد ابن الخطيب إلى منصبه، ولكن الحسّاد، وفي طليعتهم ابن زمرك، أوقعوا بين الملك وابن الخطيب، الذي نفي إلى المغرب حيث مات قتلاً سنة 776 هـ.

ثانيا- مناسبة النص : لقد فطر الإنسان على تقديس الماضي مهما كان ذلك الماضي أليمًا، ومهما كانت الشكوى منه قاسية حينما كان حاضرًا، ولعل عشق الإنسان للماضي ما هو إلا عشق لذلك الفردوس الجميل الذي فقده ولن يعود إليه أبدً وهو العمر، وقد يشوب الماضي كثير من شوائب الفقر، والألم.. إلا أنه يظل شيئًا من الذكرى التي يحن إليها الإنسان على كل الأحوال، هذا بشكل عام، فما بالنا إن كان الماضي وضيئًا جميلا، مؤنسًا؟، لاشك أن المرء في مثل هذه الحال يكون أكثر ارتباطًا به، وحبا له، وعشقا لأيامه الخوالي، وكيف بنا إن كان ذلك العشق، وذلك الحب صادرا عن إنسان مرهف الحس، شاعر؟! لا شك أن التأثر يكون في هذه الحال أكثر صدقًا، وأبهى جمالا. ولهذا يجد الشعراء في ذكريات الماضي السعيد مجالا لشعرهم حيث يتذكرون ما اغتنموا من سعادة، وما نعموا به من متعة بين الأحبة وجمال الطبيعة فتهيج عواطفهم بهذه الذكرى و يعرضون علينا صورة لها، ما جعلنا نشاركهم سرورهم بها وألمهم لذهاب عهدها، ولسان الدين بن الخطيب في هذه الموشحة يحدثنا عن أيام، جميلة سعيدة قضاها في غرناطة ويتحسر على أنها مرت سريعة.

ثالثًا- الشـــرح : يعد الموشح فنا أندلسيا خالصا، نشأ وترعرع في تلك البيئة الخصبة والملائمة لطبيعة هذا الفن الجديد، ولعل جدة المكان، وجدة الطبيعة.. جعلتا العرب الأندلسيين-أيضا- يجددون في الشعر هذا التجديد غير المعهود لديهم، تجديدا يتناسب مع جدة البيئة عليهم. وفي الحقيقة فإن هذا الفن (الموشح) يربط الطالب ارتباطا نفسيا، وعاطفيا، بتلك البلاد التي أقام فيها المسلمون دولة قوية عاشت قرونا، ثم انتهى أمرها بأن تكاتف الأوربيون في القضاء عليها ، والموضوع يطلع الطالب على لون من ألوان الأدب ابتكره الأندلسيون في الشعر وبرعوا فيه، وقد

سمي بالموشح لما فيه من ترصيع ، وتزيين تشبيها له بوشاح المرأة المرصع بالجواهر ، ومن سمات هذا الفن أنه قائم على نظام تنوع القوافي.

وموضوع هذه الموشحة يشير إلى وفاء المحب ، وصدق حبه مع جفاء محبوبته ، فالشاعر مشتاق لمحبوبته حزين على فراقها ، وقد بدأ النص بالدعاء لزمان الوصل بالسقيا ، ثم أشار إلى أن مدة الوصل كانت قصيرة كأنها حلم أو نظرة مختلسة ، حيث يريد لها أن تطول ، ولا تنقضي ثم أتبع ذلك بمناداة أهل الحي الذين بعدوا عنه ، وذكر أن قلبه معلق بهم ، وكأنهم يسكنون قلبه ، ثم ذكر أن حبه لهم في نفسه قد سبب له الضيق فجعله يشعر باضطراب فكره وعقله، ثم نراه ينتقل إلى التوسل إلى أحبائه أن يعاودوا وصله ، حيث شبه نفسه بالعبد الذي يرجو عتقه ، واستمر في الطلب فقال (اتقوا الله وأحيوا مغرماً) واستعطفهم بطريق السؤال إن كانوا يرضون هلاكه ، ثم عاد للحديث عن القرب ، والبعد وأنه مقترب منهم حيث يمني نفسه بقربهم مع أنهم بعيدون عنه ، ثم لجأ إلى الخيال فتخيل محبوبته قمراً أظهر ضوءَه غروبُ الشمسِ ، ثم نجده ينتقل إلى قسوة محبوبته وأنها لا تصله، وهي بذلك تسوي بين المحسن والمذنب.

وفي نهاية النص نجده يذكر بعض الصفات الحسية ، فذكر حور عينيها ، ولمى شفتيها، وقد جعل ذلك محبوبته كأنما حلت في نفسه محل النفس.

جــو النّــص : يجد الشعراء في ذكريات الماضي السعيد مجالا لشعرهم حيث يتذكرون ما اغتنموا من سعادة، وما نعموا به من متعة بين الأحبة وجمال الطبيعة فتهيج عواطفهم بهذه الذكرى و يعرضون علينا صورة لها، جعلنا نشاركهم سرورهم بها وألمهم لذهاب عهدها، ولسان الدين بن الخطيب في هذه الموشحة يحدثنا عن أيام جميلة سعيدة قضاها في غرناطة ويتحسر على أنها مرت سريعة.

شــرح الأبيات

1- جادك الغيث إذا الغيث هما يا زمان الوصل بالأندلس

جادك الغيث: دعاء واستبشار من الشاعر بالسقيا والخير لزمان الوصل، الغيث: المطر. زمان، الوصل: المراد الزمن الذي اجتمع فيه شمل الأحبة

الشّــرح: لعل أول ما يطالعنا في هذا النص تلك اللمحة التقليدية التي سلكها الشعراء الأندلسيون، والمتمثلة في الدعاء بالسقيا والمطر لأرض المحبين، وهي صورة عربية أصيلة، لطالما استخدمها الشعراء منذ العصر الجاهلي، لما تعانيه جزيرة العرب من قحط، وجذب، وقلة ماء، فكانت أعظم هدية، تهدى، وأجمل دعاء يدعى..أن يرزق المحبوب الماء، فتسقى أرضه، ويخصب موسمه..، ويبدو أن الشاعر الأندلسي ظل محافظًا على هذا التقليد على الرغم من عدم الحاجة

إليه في بلاد الأندلس، ذات الأمطار الوفيرة، والأنهار الغزيرة، ولكنه وعلى الرغم من ذلك راح يدعو لتلك الأيام السعيدة التي قضاها في غرناطة بالسقيا كلما سقط المطر على عادة القدامى حين كانوا يدعون لأرض المحبة بذلك .

الصـــور: (يا زمان الوصل) استعارة مكنية، شبه زمان الوصل بإنسان وحذف المشبه به و دل عليه بشيء من خصائصه وهو النداء و فيها تشخيص للزمان و كأنه إنسان حي يسمع النداء و هي توحي بحنين الشاعر لتلك الأزمان. (جادك الغيث) استعارة مكنية تصور زمان الوصل أرضا يسقيها المطر و فيها تجسيم و إيحاء بقوة الذكريات ودوامها مرتبطة بتلك الأيام وهي صورة تقليدية لشعراء المشرق العربي؛ لأنها لا تناسب الأندلس وبيئتها المليئة بالأنهار ولا تحتاج إلى المطر فالشاعر هنا يريد الدعاء بطلب الخير عامة و المطر رمز عهد الخير.

الصـور: (يا زمان الوصل) شبه زمان الوصل بإنسان (جادك الغيث) تصور زمان الوصل أرضا يسقيها المطر، خبر خرج عن الخبرية إلى الإنشاء وهو الدعـاء.

2- لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

حلما: خيال و طيف. الكرى: النوم. الخلسة: الاختلاس و الأخذ في الخفاء

الشرح: كان لقاء الأحبة جميلا ولكنه مر سريعا كالحلم السعيد أو اللذة المختلسة

الصور: (لم يكن وصلك إلا حلما أو خلسة المختلس) تشبيهان فالوصال في لذته كالحلم السعيد في سرعته و قصر زمن المتعة كالخلسة السريعة

3- إذ يقود الدهر أشتات المنى ننقل الخطو على ما يرسم

يقود الدهر: يسوق، والمراد يحقق. أشتات المنى: الأماني المتفرقة. جمع شتيت و جمع منية. ننقل الخطو: تتجه على ما يرسم: كما يرسم لها الدهر

الشـــرح: يسترجع الشاعر الذكريات فيقول كان الدهر يحقق أمانيه المتعددة المتنوعة فتجري على خطة مرسومة لا تختلف ولا تنحرف.

الصـــور: يقود الدهر أشتات المنى: استعارة مكنية تصور الدهر قائداً والمنى جنودا تقاد (تنقل الخطو على ما يرسم) ترشيح لهذه الصورة، فالشاعر مستمر في كشف خبايا الدهر، فالدهر قائد يرسم الخطة وأشتات المنى جنود تنقل الخطو وتتحرك بأمره، وفي ذلك تصوير وتشخيص وتوضيح للمعنى الذي يريده وهو الدلالة على السعادة التامة ، صورة كلية لزمان الوصل تمثل فيها الدهر قائدا فيقود الأماني فتمشي حسب الخطة الموضوعة فرادى ، أو جماعات و الشاعر و أحبابه يمرحون بين الرياض الزاهرة الجميلة وهي لوحة حافلة بالحركة (في يقود تنقل الخطو، كساه

يزدهي) واللون نراه في (الروض، السنا، الزهر، النعمان، ثوبا معلما)، والصوت نسمعه في (الخطو، يدعو، رو ى)، وفي خلالها صورة بيانية غير خافية.

4-زمراً بين فرادى و ثنا مثلما يدعو الحجيجَ الموسمُ

زمراً: جمع زمرة. الوفود: جمع وفد وهو الجماعة / الموسم: موسم الحج.

الشـــرح: هذه الأماني تأتي في موعدها المرغوب فيه فرادى أو ثنى أو جماعات كأنها وفود الحجاج في موسم الحج تأتي في موعدها متفرقة أو متجمعة.

الصـــور: يدعو الموسم: استعارة مكنية تصور موسم الحج إنسانا يدعو الناس وينادیهم. تشبيه : يصور الأماني في تتابعها فرادى أو مثاني أو جماعات، بصورة الحجاج يتوافدون على مكة جماعات أو فرادى في موسم الحج و يبدو في هذه الصورة الثقافة الدينية للشاعر.

5- و الحيا قد جلل الروض سنا وثغور الزهر منه تبسم

الحيا : المطر. جلل الأرض سنا: كسا الرياض أزهارا متفتحة تلمع وتتلألأ. ثغور: جمع ثغر.

الشـــرح : كانت الطبيعة حولنا بهيجة تشاركنا سرورنا وتسهم في سعادتنا فالمطر قد كسا الروض ثوبا مشرقا من الأزهار المتفتحة الباسمة.

الصـــور: فثغور الزهر منه تبسم: استعارة مكنية، شبه الزهر بإنسان له ثغر، وحذف المشبه به ودل عليه بشيء من خصائصه وهو ثغور، ورشح هذه الاستعارة[22] بقوله: تبسم، والصورة توحي بالبهجة والصفاء الذي يغمر الروض.

6- و روى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنس

النعمان : المراد هنا أن شقائق النعمان ذلك النوع من الأزهار ينسب إلى النعمان بن المنذر بن ماء السماء: أم المنذر، وهنا المطر. مالك : إمام المدينة الذي ينسب إليه المذهب المالكي أنس: والد مالك.

الشـــرح : روى النعمان عن ماء السماء: المراد هنا أن شقائق النعمان ذلك النوع من الأزهار الذي يعرف بشكله الأحمر ونقطه السوداء ، يدل على أثر المطر فيها، وفضله عليها، والنعمان بن ماء السماء: ملك الحيرة في الجاهلية ، وفى هذا التعبير تورية ، تحتمل أن يكون المقصود هو النعمان الملك ، وكذا النعمان المعروف بشقائق النعمان الذي يعد ابنًا لماء السماء وهو (المطر)، ومالك بن أنس: فقيه صاحب مذهب معروف و أنس أبوه أو هو أنس بن مالك خادم الرسول - صلى الله عليه وسلم- والمراد هنا أن ما بين شقائق النعمان والمطر من نسبة، وصلة، مثل ما بين مالك وأبيه أنس أو مثل ما بينه وبين أنس بن مالك في صدق الأحاديث المروية.

الصـــور: كما يمكن القول بالتورية في قوله (روى النعمان) يحتمل أن تكون بمعنى ارتوى النعمان(أي الشقائق) من ماء، و(كيف) تأتي بمعنى: (مثل) في اللهجة المغاربية، أي كما روى، أو ارتوى مالك من رواية أنس من أحاديث نبوية. وهي صورة فيها حسن تعليل.

روى النعمان عن ماء السما: استعارة مكنية تصور شقائق النعمان إنسانا يروى ويحكي ، وماء السما إنسانا يروى عنه ، و الشاعر هنا متأثر بالثقافة الدينية ورواية الحديث الشريف، وهنا تشبيه حيث شبه رواية شقائق النعمان عن ماء السماء برواية مالك عن أنس.

7- فكساه الحسن ثوباً معلماً يزدهي منه بأبهى ملبس

معلما: ملونا، مزخرفا. يزدهي: يختال. بأبهى ملبس بأجمل الأثواب.

الشـــرح: عندما نزل المطر على الروض وتفتحت الأزهار بألوانها الجميلة، فكأنّ الروض لبس ثوبا منقوشا بأجمل الزخارف والألوان. فهاهي شقائق النعمان تنطق بأثر المطر، وتدل على أنها وليدة ماء السماء، كما أن مالكاً وليد أنس..وهكذا فأصبح الروض يختال في ثوب جميل تعددت فيه ألوان الحسن والبهاء.

الصـــور: كساه الحسن: استعارة مكنية تصور الحسن إنساناً يكسو الروض ثوباً ملوناً.ثوباً معلماً: استعارة تصريحية ، حيث شبه الأزهار المتنوعة في الرّياض بالثوب المطرز المنقوش، وتوحي بروعة الأزهار والإعجاب بها. يزدهي منه بأبهى ملبس: استعارة مكنية تصور الروض إنساناً يختال مفتخراً بملابسه الجميلة وفيها تشخيص و إيحاء بروعة الجمال.

8- في ليال كتمت سر الهوى بالدجى لولا شموس الغرر

كتمت: سترت. الهوى: الحب. الدجى: الظلام. شموس الغرر: شموس مفردها شمس، الغرر جمع غرة و هي بياض الوجه والمراد وجوه الجالسين التي تشبه الشموس.

الشـــرح: ما أجمل تلك الليالي التي سترت لقاءنا، وحجبتنا عن أعين الرقباء بظلامها الذي لم ينبعث فيه ضوء غير إشراق الوجوه الجميلة في ذلك المجلس.

الصـــور: ليالٍ كتمت سر الهوى: تشخيص على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الليالي إنسانا يكتم السر. وشموس الغرر: تشبيه بليغ فقد شبه وجوه الأحبة في إشراقها بالشموس والغرر: مجاز مرسل عن الوجوه علاقته جزئية فقد أطلق الجزء (فالغرة بياض في الجبهة) وأراد الكل وهو الوجوه .

9- مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر

مال نجم الكأس: انتقل كأس الشراب اللامعة كالنجم من يد إلى يد، سعد الأثر: محمود الأثر طيبا

الشـــرح: وفي هذه الليالي كانت تدور الكؤوس علينا منتظمة فتترك في نفوسنا نشوة وطربا .

الصـــور: نجم الكأس: تشبيه بليغ فقد شبه الكأس بالنجم في اللمعان والإشراق وأضاف المشبه به إلى المشبه.

10- وطر ما فيه من عيب سوى أنه مر كلمح البصر

وطر: مطلب وغاية .

الشـــرح : وقضينا في هذا اللقاء أوقاتاً سعيدة لا يشينها إلا أنها مرت سريعًا كلمح البصر، وهكذا الصفو، والأوقات الجميلة.. قصيرة العمر.

الصور: وطر مر كلمح البصر: تشبيه فقد شبه وقت اللقاء في قصره بالوقت الذي يستغرقه لمح البصر، وفيه تأكيد المدح بما يشبه الذم.

11- حين لذ النوم شيئا أو كما هجم الصبح هجوم الحرس

لذ النوم: أصبح لذيذاً، شيئا: المراد هنا قليلاً .

الشـــرح: فما كنا نشعر بسعادة الأنس واللقاء حتى ظهر الصبح فافترقنا مهروعين، كما يهجم الحرس في عنف على جماعة فيشتت شملهم.

الصـــور: هجم الصبح هجوم الحرس: استعاره مكنية شبه الصبح إنساناً يهجم/.هجوم الحرس: تشبيه حيث شبه هجوم الصبح في عنفه وقسوته ومفاجأته وأثره في تفريق الشمل بهجوم الحرس وهو يوحي بضيق النفس من حرمان التمتع بالسعادة.

12- غارت الشهب بنا أو ربما أثرت فينا عيون النرجس

غارت الشهب بنا: لحقتها الغيرة بسبب السعادة التي نحن فيها فانقضت الكؤوس وانتهى المجلس. وربما غارت من الغور وهو التلاشي، والانتهاء، فيقال غارت البئر: أي بعد ماؤها، وتلاشى، وعلى هذا تكون هذه النجوم معهم حتى تلاشت، وانقضى الوقت بسرعة فظهر الصبح، وما ذاك إلا بسبب تأثير، وحسد من عيون النرجس. المراد حسدتنا على سعادتنا. وربما قصد الشاعر هنا عيون حساده التي تشبه عيون النرجس.

الشـــرح: وكأن النجوم أصابتها الغيرة منا فاختفت بسرعة لترسل الصبح يكشفنا ويفرقنا، أو كأن عيون أزهار النرجس حسدتنا فلم يطُل أمر سعادتنا ولقائنا.

الصـــور: غارت الشهب بنا: استعارة مكنية صور الشهب أشخاصا تصيبهم الغيرة والحقد. عيون النرجس: تشبيه بليغ فقد شبه زهرات النرجس في شكلها بالعيون وأضاف المشبه به للمشبه. أثرت فينا عيون النرجس: استعارة مكنية تصور أزهار النرجس أشخاصا يحسدون الأحبة عند اللقاء.

13- أيُّ شيء لامرئ قد خلصا فيكون الروض قد مكن فيه

إن الحال لا تدوم لإنسان، كذلك الروض يشبه الإنسان ، فإنه يخضر ويزهر ويذبل كالإنسان تماما ، فحياة كليهما متشابهة.

الصور: الاستفهام والغرض منه تسلية النفس لفوات أمر ما.

14- تنهب الأزهار فيه الفُرصا أمِنت من مكره ماتتقيه

فكما ينتهز الإنسان الفرص في حياته ليلذ بها، فإن الروض كذلك، فالأزهار تتقي غدر الذبول والتساقط الذي يعادل الموت عند الإنسان، لتستغل كل لحظة من حياتها في الروض لتنعم وتهنأ بحياتها.

الصور: الاستعارة المكنية في (تنهب الأزهار)

15- فاذا الماء تناجى والحصا وخلا كلٌ خليل بأخيه

16- تُبصر الورد غيوراً بَرما يكتسي من غيظه ما يكتسى

17- وترى الآس لبِيبا فهما يسرق السمع بأذني فرس

هذه الأبيات الثلاثة عبارة عن لوحة جميلة من أسلوب حسن التعليل، وسأشرحها على هذا المنوال: في ذلك الروض، ينفي الشاعر الصوت الصادر عن جريان الماء فوق الحصى عن الطبيعة، ويعزوه إلى صوت تناجي الماء والحصى كخليلين يتهامسان، وينفي الشاعر الحمرة عن لون الورد ويعزوها إلى حمرة وجنتيه بسبب غيظه، وغيرته من منظر الماء والحصى الحبيبين المتناجيين، أمّا الآس وهو شجر ذو رائحة، له أوراق عريضة، فلم يكن رد فعله كالورد الغيور، بل كان ذكيا فطنا، فإن الشاعر ينفي عرض أوراقه عن الطبيعة، ويعزوه إلى تشنيف أذنيه ليسترق ما يدور من مناجيات غرامية في الروض.

التشابه بين الروض والإنسان :

1- ربيع عمر وخريف عمر.

2- الحب والغزل الرقيق الهامس.

3- انفراد المحبوبين واحداً بالآخر

4- الغيظ والغيرة والحسد

5- استراق السمع وتعقب المحبين

18- يا أهيل الحي من وادي الغضى وبقلبي سكن أنتم به

أهيل الحي : تصغير أهل للدلال : وهو إيحاء بالمحبة. وادي الغضى: الغضى وهي شجرة خشبها صلب.

الشــرح: يا أهل ذلك الحي بذلك الوادي الذي تحول إلى ألم و حزن وشجن أنني أدعوكم وأناديكم؛ لأنكم قريبون مني مكانة و لكم منزلة خاصة بقلبي.

19- ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا لا أبالي شرقه من غربه

وجدي: شعوري حزني. / رحب الفضا: الفضاء الواسع. / لا أبالي: لا أهتم.

الشــرح: فإحساسي وشعوري ضاق بهذا الفضاء الواسع الرحب فلم أعد أهتم به و لا بأي جهة فيه.

الصور البيانيــة : ضاق عن وجدي: استعارة مكنية شبه الفضاء بالشيء المادي الذي يضيق.

20- فأعيدوا عهد أنس قد مضى تعتقوا عبدكم من كربه

أعيدوا: أعيدوا زمن الوصل. / تعتقوا: تحرروا. / كربه: حزنه.

الشــرح: فدعوة إلى إعادة ذلك الزمان، زمان الأنس و الحب واللهو فأنتم بهذا تحررون عبدا ضاقت به القيود و أحكمته.

الصور البيانية : تعتقوا: شبه الكرب بالقيد أو الأسر، استعارة مكنية.

21- واتقوا الله و أحيوا مغرما يتلاشى نفسا في نفس

يتلاشى: يختفي. / مغرم: عاشق.

الشــرح: وأدعوكم لتقوى الله فيما يصيبني فأنا إنسان معشق ومغرم لذلك الزمان وبهذه الحالة التي وصل إليها فأنا انتهي و أتلاشى شيئا فشيئا.

22- حبس القلب عليكم كرما أفترضون عفاء الحبس

حبس القلب عليكم : كرّس حبه لكم العفاء: الزوال

الشــرح : فالقلب قد كن هذا الحب العظيم لذلك الزمان كرما وحبا وعشقا له فلا أظنكم ترضون بغير ذلك وهو أن يتحول ذلك الحب إلى كره وعدم مبالاة فلا تكون هناك رغبة في إعادة ذلك الزمان.

التحليل

خصائص أسلوب الشاعر :

1- ألفاظه رقيقة عذبة .

2- يميل إلى المحسنات البديعية .

3- أفكاره غير عميقة ، ويقل فيها التحليل والتفصيل

4- متأثر بالثقافة الدينية .

5- التنوع في الخبر و الإنشاء.

أثــر البيئة في النص:

1- كثرة اللهو والترف في الأندلس .

2- جمال الطبيعة هناك وتنوع مظاهر الحسن فيها .

3- اتصال الثقافة الأندلسية بالثقافة العربية في المشرق .

4- تجديد الأندلسيين في أوزان الشعر وقوافيه بابتكارهم الموشحة.

5- تشخيص عناصر الطبيعية.

ملامــح التجديد عند الشاعر:

1- وحدة الموضوع والجو النفسي.

2- الألفاظ السهلة .

3- تنوع القافية .

ملامح المحافظة على القديم:

1- البدء بالدعاء وهو تقليد شعري قديم (الدعاء بنزول المطر).

2- الصور البلاغية: الصوت: روى – يدعو – هجم – كتمت- تناجى.

الحركة: هجم- الخطو– هوى- مستقيم السير.

الأساليب الخبرية و الإنشائية والغرض منها:

غلب الإنشاء على الخبر؛ لأنه يخاطب أحبابه ويرجوهم أن يعودوا للقائه.

* جادك الغيث : أسلوب خبري لفظا إنشائي معنى وغرضه الدعاء.

* يا زمان : أسلوب إنشائي نوعه نداء غرضه التمني.

.* يا أهيل: أسلوب إنشائي نداء. أهيل: تصغير غرضه إظهار مدى مكانتهم في نفسه.

* أعيدوا: إنشائي نوعه أمر غرضه الاستعطاف و الالتماس.

* اتقوا و أحيوا: أسلوب إنشائي نوعه أمر غرضه الاستعطاف و الالتماس.

* أفترضون: أسلوب إنشائي نوعه الاستفهام غرضه الاستعطاف.

الخاتمـــة:

في الختام نصل إلى الآتي :

1- أن الموشّــح هو فن قائم على أسس منظومة تكوّنت على عدّة عصور أندلسية نسبة إلى مكان نشأته من أهم هذه العصور عصر ملوك الطوائف وعصر الموحدين، وعلى يد نخبة من الشعراء الأفاضل.

2- من أشهر الموشّحات التي ذكرت وأحسنها وأشهرها لابن الخطيب ، وبذلك نجد أن الموشّـح استطاع أن يجمع شمل الموسيقى ، موسيقى الكلمة واللغة والوزن وموسيقى التلحين لينتج جوا من الحضارة يتوافق مع ترف الحياة الذي كان سائدا في الأندلس ، فضرْب العيدان وغناء القيان وتراقص الجواري غير ليل بات الأندلس نهاراً.

3- من خصائص الموشّـح عذوبة الألفاظ مع استعمال عدد منها لمعانٍ عربية قليلة الشهرة ، وتكثر في الموشّحات الصور الشعرية في التشبيهات والاستعارات البارعـة .

4- الموشّـح منذ نشأته الأولى فنا وجدانياً خالصاً يعبر عن شخصية شاعـره ، ولذلك كثر في الغزل الوصف والخمر ، والوقوف على الأطلال والأغراض التقليدية الأخـرى

الهوامـــش:

1- دراسات في الأدب الأندلسي ،د:العربي سالم الشريف،ط2003،1،ص45..

2- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي ،القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966 ص176..

3- في الأدب الأندلسي د:سعيدة محمد رمضان، دار المعارف الاسكندرية، ص97 .

4- المصدر السابق ،ص.98

5- المصدر نفسه، ص.102

6- ينظر المصدرنفسه ، ص105 .

7- في الأدب الأندلسي، ص.106

8- المصدر السابق ،ص.108

9- المصدر نفسه ،ص.109

10- كتاب الصناعتين ،أبو هلال العسكري،تحقيق :علي محمد،صيدا بيروت 1986ص452,ص453..

11- ا لمصدر السابق455 .

12- المطرب من أشعار أهل المغرب ،لابن دحية الكلبي ،تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار العلم بيروت، 1955 ص.204

13- دراسات في لأدب الأندلسي، ص.30

14- الجامع في تاريخ الأدب العربي ،الأدب القديم ،حنا الفاخوري ،دار الجيل، ط1 ،1980 ص.954

15- المصدر السابق ص.949

16- مجلة الرسالة الأستاذ توفيق الضوي ،الموشح ،ع 209 .

17- تاريخ ابن خلدون ،ابن خلدون،دار الفكر ،ج1،ص.583

18- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر بيروت، 1968 ج2 ص250 .

19- سلافة العصر في محاسن الشعراء،ابن معصوم الحسني ج1،ص145..

20- مجلة الرسالة (الموشح) ص209 .

21- موسوعة المفاهيم الأسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الأسلامية، مصر، ج1 ص.165

22- الاستعارة المرشحة :ما ذكر معها ملائم المشبه به .